(١)

الاستعمـــــار

- لماذا يعادى الاستعمار الإسلام ؟
- عامل الخوف
- عامل الحقد
- عامل الجهل
- عامل الطمع
- أساليب الاستعمار فى الكيد للإسلام
- مخاوف الاستعمار من الصحوة الإسلامية

obeikandi.com

obeikandl.com

الاستعمــــار

إن أول عدو للحل الإسلامى، وأقدم معارض لتحيكم شريعة الإسلام فى المجتمع، وسيادة فكرته على الحياة هو: الاستعمار.

وكلمة «الاستعمار» عندى تشمل الاستعمار الغربى والاستعمار الشرقى ... الاستعمار الرأسمالى والاستعمار الشيوعى. فكل منهما يحمل المخالب والأنياب التى يمزق بها فريسته بغيا وعدوانًا وعلوا فى الأرض. ولا خلاف بينهما إلا فى العناوين، وإن كان الاستعمار الثانى أشد وأنكى من الأول، فلم يحدث أن دخل هذا بلداً وخرج منها، لا بالمفاوضة ولا بالثورة.

ومع هذا، فلهذا الاستعمار حديث مفرد يدخل تحت العنوان الذى اشتهر به، وهو «الشيوعية» أما الذى أعنيه بالاستعمار هنا خاصة، وأتحدث عنه، فهو الاستعمار الغربى الذى غزا أوطان المسلمين فى غفلة منهم، وضعف من حكامهم، وتفرق من شعوبهم، وسيطر علي مقدراتهم وتحكم في مقاليد أمورهم، يأخذ ما يشاء كما يشاء، متى شاء، ويعطى ما يشاء لمن شاء، كيف شاء. قد خلع على نفسه رداء الألوهية فى أرض التوحيد والموحدين، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون!!

وعداوة الاستعمار للإسلام، ومقاومته للحل الإسلامى: قضية من الظهور والوضوح بحيث لا تحتاج إلى برهان. وحسبنا من ذلك قراءة بعض ما يكتبه الفريقان اللذان يعتمد عليهما الاستعمار فى غزوه الفكرى والاجتماعى للشرق المسلم وهما: «المبشرون» و«المستشرقون» ولا فرق بين المبشرين والمستشرقين إلا أن الأولين يلبسون مسوح الدين، والآخرين يلبسون مسوح العلم.

وأكثر هؤلاء وأولئك كاذبون، فإنما هم خدم للاستعمار، وتحقيق أغراضه في السيطرة، والتمكين من بلاد الإسلام، وأمة الإسلام.

إن عداوة الاستعمار للحل الإسلامي لا تخفى على دارس أو متأمل، ولكن الذى يحتاج إلى معرفته هو: تجلية أسباب هذه العداوة وبواعثها حتى يتبين المسلم: لماذا يعادون الإسلام، ويقفون بكل قوة فى وجه أية محاولة لإعادة القيادة للإسلام، ولإقامة دولة الإسلام فى أى مكان؟

* * *

obeikandl.com

العوامل التى دفعت
الاستعمار لمعاداة الإسلام

والذى يدرس علاقة الاستعمار بالشرق الإسلامى يتبين أن هناك عدة عوامل نفسية، هى التى تدفع الاستعمار إلى اتخاذ موقف العداء العلنى والخفى للإسلام، ورسالته ودعاته، والعمل على عزل الإسلام عن الحياة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

هذه العوامل مركبة من: الخوف، والحقد، والطمع، والكبر، والجهل. وسنفرد كلا منها بحديث:

● عامل الخوف وأسبابه:

١ – فأما الخوف فإن الاستعمار يريد أن تستمر سيطرته على ديار الإسلام وأن تظل له السيادة المادية على أرضه، والفكرية على عقول أهله، وأن تبقى عجلة القيادة العالمية بيده.

وانتفاض الإسلام وصحوته – باعتباره عقيدة وشريعة وحضارة وأخوة – يهدد الغرب فى ذلك كله.

فالإسلام – كما قال المستشرق جب – ليس مجرد مجموعة من القوانين الدينية، ولكنه حضارة كاملة.

وخطورة هذه الحضارة: أنها حضارة واحدة تضم أمة الإسلام الكبرى فى مشارق الأرض ومغاربها، على اختلاف المكان واختلاف الزمان، فلم تستطع العوامل الإقليمية المختلفة أن تؤثر فيها، أو تنال منها على تعاقب الأزمان، وتباين الأصقاع، مما جعل العالم الإسلامى كتلة سياسية خطيرة، ذلك العالم المترامى الأطراف الذى يحيط بأوروبا إحاطة محكمة تعزلها عن العالم (١).

---

(١) انظر كتاب: الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ج ٢ ص ١٩٨.

إن الإسلام (عقيدة انقلابية) شاملة تفرض نفسها على حياة الإنسان من ساعة يولد إلى أن يوضع فى القبر، ولا تقبل الخضوع لأى أيديولوجية أخرى غربية أو شرقية، دينية أو مدنية.

ومن خصائص هذه العقيدة: أنها تربى أتباعها على الاعتزاز بها ورفض التبعية لغيرها، كما تربيهم على معانى القوة والجهاد فى سبيل الله الذى يعده المسلمون فريضة مقدسة من أعظم الفرائض، وعبادة من أفضل العبادات.

هذا يشير إلى أن الوحدة بين شعوب المسلمين - مهما تختلف أوطانهم وألوانهم ولغاتهم - فريضة إسلامية يأثمون إذا فرطوا فيها. وجذور هذه الوحدة قائمة فى الأخوة الإسلامية العميقة التى تربط بين المسلمين فى مختلف أقطارهم، وتوحد مشاعرهم وعواطفهم، وتذوب فى حرارتها كل الحدود والفوارق التى تفصل بين الناس.

ومن أبرز الأمثلة على مخاوف الاستعمار من قوة الإسلام الكامنة. ومن وحدة أمته الكبيرة: مقال قديم كتبه المستشرق الفرنسى هانوتو مستشار وزارة الاستعمار الفرنسية ونشرت ترجمته صحيفة المؤيد فى القاهرة سنة ١٩٠٠ وكان له ضجة كبيرة فى حينه، ورد عليه الشيخ الإمام محمد عبده رداً مشهوراً.

تحدث هانوتو فى مقاله: كيف اخترق المسلمون - أبناء آسيا - شمال القارة الإفريقية بسرعة لا تجارى، كما تحدث عن تاريخ النزاع بين الإسلام والمسيحية، وتحقق الظفر للأخيرة فى القرن التاسع عشر، وقال: ولكن لا يزال الهلال ينتهى طرفاه من جهة بمدينة القسطنطينية (استانبول) ومن جهة أخرى بمدينة « فاس » فى المغرب الأقصى، معانقًا بذلك الغرب كله ... إذن فقد صارت فرنسا بكل مكان فى صلة مع الإسلام، بل صارت فى صدر الإسلام وكبده.

ثم قال: ليس الإسلام فى داخلنا فحسب، بل هو خارج عنا أيضًا، قريب منا: فى مراكش ... فى طرابلس الغرب ... فى مصر ... فى آسيا، حيث لا يزال قائما فى بيت المقدس، ناشرا أعلامه على مهد الإنسانية مقر المسيح. وقد

انبعثت منه شعبة فى بلاد الصين، فانتشر فيها انتشارا هائلا، حتى ذهب البعض إلى القول بأن العشرين مليونا من المسلمين الموحدين فى الصين، لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون، فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء لبوذا.

وليس هذا بالأمر الغريب، فإنه لا يوجد مكان على ظهر الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده منتشرا فى الآفاق، فهو الدين الوحيد الذى دخل فيه الناس زمراً وأفواجاً. وهو الدين الوحيد الذى تفوق الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه.

ثم إن هذا الدين قائم الدعائم، ثابت الأركان فى أوروبة عينها، أعنى فى الآستانة الطيبة، حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصاله من هذا الركن المنيع الذى يحكم منه على البحار الشرقية، ويفصل الدول الغربية بعضها عن بعض شطرين!.

إلى أن يقول: وخلاصة القول: إن جميع المسلمين على سطح المعمورة تجمعهم رابطة واحدة، بها يديرون أعمالهم، ويوجهون أفكارهم إلى الوجهة التى تتحرك بحركته وتسكن بسكونه، ومتى اقتربوا من الكعبة البيت الحرام .. من زمزم الذى ينتبع منه الماء المقدس .. من الحجر الأسود المحاط بإطار من الفضة .. من الركن الذى يقولون عنه إنه «سرة العالم» وحققوا أمنيتهم العزيزة التى استحثتهم على مبارحة بلادهم فى أقصى مدى من العالم، للفوز بجوار الخالق فى بيته الحرام، اشتعلت جذوة الحب الدينية فى أفئدتهم، فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفا صفوفًا، وتقدمهم الإمام مستفتحًا العبادة بقوله: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فيعم السكوت والسكون وينشران أجنحتهما على عشرات الألوف (١) من المصلين فى تلك الصفوف ويملأ الخشوع قلوبهم، ثم يقولون بصوت واحد:

---

(١) يبلغ عدد الطائفين والراكعين والساجدين من حجاج بيت الله الحرام فى هذه السنين أكثر من مليونين وفى بعض السنوات ثلاثة ملايين. فليمت من شاء بغيظه.

« الله أكبر » ثم تعنو بعد ذلك جباههم قائلين : « الله أكبر » بصوت خاشع يمثل معنى العبادة .

ثم يقول :

لا تظنوا أن هذا الإسلام الخارجى الذى تجمعه جامعة فكر واحد غريب عن إسلامنا (فى تونس والجزائر) ولا علاقة له به، لأنه وإن كانت البلاد (الإسلامية) التى تحتلها شعوب مسيحية ليست فى الحقيقة « دار إسلام » وإنما هى « دار حرب » فإنها لا تزال عزيزة موقرة فى قلب كل مسلم صحيح الإيمان . والغضب ما زال يحوم حول قلوبهم، كما تحوم الأُسْد حول قفص حبس فيه صغارها، وربما كانت قضبان هذا القفص ليست متقاربة، ولا بدرجة من المتانة تمنعها عن الدخول إليهم من بينها .

ثم ينتهى إلى النتيجة بقوله :

« يؤخذ مما تقدم : أن جراثيم الخطر لا تزال موجودة فى ثنيات الفتوح، وطى أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التى حاقت بهم، ولكن لم تثبط هممهم، نعم ليس لمقاومتهم رؤساء يدبرون هذه المقاومة، ولكن رابطة الإخاء الجامعة لأفراد العالم الإسلامى بأسره كافلة بالرئاسة (١) . . . »

إن هذا المقال بأسلوبه المباشر المعبر، وعباراته الصريحة البليغة، ليبين لنا كيف ينظر رجال الاستعمار إلى الإسلام : وكيف تزعجهم الروابط الوثيقة التى يلمسون آثارها ومظاهرها بين المسلمين .

فكيف بهذه الروابط إذا تطورت إلى وحدة جامعة فيدرالية أو كونفدرالية؟! وإن أقرب ما تكون هذه الوحدة إلى الظهور والتحقق حين يعود المسلمون إلى الحل الإسلامى . فهناك تؤدى وحدة المناهج والأنظمة مع

---

(١) انظر : مقالة (هانوتو) ورد الإمام محمد عبده، عليها فى كتاب (الإسلام والرد على منتقديه) للأستاذ الإمام .

obeikandi.com

وحدة العقيدة إلى الوحدة السياسية الكبرى، متوجة بالخلافة الإسلامية العظمى.

وهذه كلها أشباح مخوفة تقض مضاجع الاستعمار، وتطرد النوم من أجفانه، وقد صرح بهذه المخاوف بعض الكتاب والمستشارين الذين يعملون فى خدمة الاستعمار من المبشرين والمستشرقين وغيرهم من السياسيين.

تقول مجلة «العالم الإسلامى» الإنجليزية على لسان كاتب اسمه «أشعيا يومان»:

«إن شيئًا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى. ولهذا الخوف أسباب، منها: أن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عدديا، بل دائمًا فى ازدياد واتساع. ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب، بل إن من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعبًا دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانيًا».

ويقول القس «كالهون سيحون»:

«إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السُّمْر، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوربية، ولذلك كان التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين فى نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصرى القوة والتمركز فيها».

ويقول «لورانس براون» فى كتابه: «الإسلام والإرساليات»:

«إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير».

وقد قال فى كتاب آخر أصدره سنة ١٩٤٤:

«الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته. إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى».

وهذه العبارات الواضحة الصريحة فى غنى عن التعليق عليها. إنها تجسد مخاوف الغرب المسيحى من هذا الشرق الإسلامى. ومخاوفه تتمثل فى انطلاق الإسلام من قمقمه، فنظام الإسلام العادل ومنهجه الوسط، وحيويته البالغة، وقدرته على الانتشار والتوسع، واعتباره الجهاد من فرائضه وقدرته على توحيد الشعوب الإسلامية، وتجميع آمالها، ودفعها إلى التحرر من السيطرة الأجنبية - كلها أشباح مخيفة مقلقة للاستعمار.

ومما زاد من خوف الاستعمار من دعوة الإسلام، وعودة منهجه إلى الحياة: أن الحركات القوية التى قاومته فى العالم الإسلامى كله، وصمدت فى وجهه، واستعذبت الموت فى قتاله، كانت حركات إسلامية فى حقيقتها، وإن استغل ثمرات جهادها بعد ذلك القوى غير الإسلامية من لصوص الحركات، وسراق الثورات.

حركة المقاومة للاحتلال الفرنسى فى حملة نابليون على مصر، إنما قادها علماء الأهر وزعماء الدين، ولا غرو أن صب الفرنسيون نقمتهم على الجامع الأزهر، فدخلوه بخيولهم متحدّين مشاعر المسلمين.

حركة المقاومة للإنجليز فى السودان إنما قادها، وأجج نارها زعيم دينى هو محمد المهدى الكبير، وأتباعه من المتدينين (١).

---

(١) ولقد عرف الغربيون وجه هذه الثورات وروحها الإسلامى، فقاوموها مقاومة صليبية عنيدة، ووقفوا بكل قواهم فى سبيل نجاحها.

وها هو مؤرخ أمريكى حديث هو «ألن مورهيد» يحدثنا عن فتح الغربيين لأفريقيا، ويجعل فى كتابه فصلين: أحدهما تحت عنوان «التمرد المسلم» والثانى بعنوان «النصر المسيحى» ويذكر فى الفصل الأول رأى القائد غوردن فى قوة المهدى، وخشيته من اندلاع مثلها فى كل مكان:

«إن الخطر الذى يجب أن نخشاه ليس زحف المهدى شمالا عبر وادى حلفا، إنه لأمر بعيد الاحتمال أن يتجه شمالا. إن الخطر من طبيعة مختلفة تماماً. إنه ينبعث من وجود قوة محمدية منتصرة عند حدودكم. الأمر الذى سيثير الشعوب التى تحكمونها ... فى كل مدن مصر سيقوم إحساس بأن ما يفعله المهدى يمكن أن يفعله المصريون، وكما طرد الدخلاء الكافرين يمكنهم =

وحركة المقاومة للحلفاء واليونان فى تركيا كانت حركة إسلامية، كان هدفها جهاد الكفار، وتحرير أرض الإسلام، وإن جنى ثمرتها بعد ذلك الكماليون الملحدون.

وحركة المقومة للإيطاليين فى ليبيا على يد «عمر المختار» وأعوانه كانت حركة إسلامية.

وحركة المقاومة للأسبان فى ريف مراكش بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابى الذى أقلقت قوته جميع الدول الأوروبية، فتراكضت لمساعدتهم كانت حركة إسلامية.

ولقد علق المبشر «وليم كاش» على جهاد الأمير عبد الكريم فى كتابه «العالم الإسلامى فى ثورة» بهذه الكلمات المغيظة الحانقة:

«لقد التقى الأسبان بالحماسة العربية القديمة، واضطروا إلى أن يجلوا من مناطق نفوذهم موقعا بعد موقع، حتى أصبحوا يحاربون وظهورهم إلى البحر مباشرة، وعلى وشك أن يخرجوا من شمال إفريقيا مرة واحدة. وهكذا نجد للمرة الثانية منذ الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) أن دولة أوروبية ينقلب عليها جيش مسلم، فلقد اتفق أيضا لثلاث سنوات خلت أن مصطفى كمال طرد اليونان من آسيا الصغرى، وتحدى بذلك سلطان أوروبة القوى»[(١)].

وقد ذكرنا أن حركة طرد اليونان لم تكن فى حقيقتها إلا حركة إسلامية قطف ثمارها العلمانيون.

= أن يفعلوا نفس الشئ.. وليست انجلترا وحدها التى ستواجه الخطر.. إن نجاح المهدى قد أثار المخاطر فى آرابيا وسوريا» عن كتاب «الغزو الفكرى» لجلال كشك ص ٣٥.

ويقول «الن مورهيد» فى فصل «النصر المسيحى»:

«لقد انتهت هذه القلاقل (يقصد ثورة عرابى والمهدى) كما رأينا بالهزيمة الساحقة للإسلام علي ضفاف النيل، ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقتة ليس إلا، ومنذ سنة ١٩٠٠م وهناك تقدم منتظم للإسلام في شرق ووسط أفريقيا وفى الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤمنين جددا أكثر من المسيحيين كما قال «رولاند أوليفر» إنهم يكسبون السباق» عن الغزو الفكرى ص ٣٧.

(١) التبشير والاستعمار ص ١٢٩.

وحرب التحرير الجزائرية التى انتهت بالنصر، وخر فيها مليون ونصف المليون شهداء، كان الدافع الأول لها والروح المحرك لمجاهديها هو الإسلام. لقد رفع الفرنسيون شعار « جزائر فرنسية » فكان رد الجزائريين: بل جزائر مسلمة! كان نشيد كل جزائرى منذ عهد الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

ولقد أدرك رجال السياسة الغربيون أن الإسلام وراء كل حركات الجهاد والثورة على حكمهم وتسلطهم، وكثيراً ما أعلنوا ذلك شفاها أو كتابة فى غير مواربة ولا خفاء.

لقد أعلن « جى موليه » رئيس الوزارة الفرنسية: أن الحركة الإسلامية التى تتسع فى إفريقيا، هى التى تهدد الإمبراطورية الفرنسية فى المغرب (١).

وكذلك أعلن « جورج بيدو » أحد وزراء الخارجية فى فرنسا: أنه لن يترك الهلال يتغلب على الصليب (٢).

ويقول الكاتبان: كوليث وفرنسيس جانسون فى أثناء حرب التحرير الجزائرية: إن الحرب الحاضرة فى الجزائر (يعنى حرب التحرير التى بدأت فى سنة ١٩٥٥) ليست حرباً دينية أو جنسية أو حضارية. ولكنها حرب مجموع مظلوم يريد أن يتحرر من ربقة مجموع ظالم. إلا أن الإسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين إلى طلب هذا التحرر ... لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام ... من أجل ذلك أدركوا جميعا أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر. والواقع أن الاحتلال الفرنسى للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية».

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق وقد ذكر المؤلفان ذلك فى كتابيهما: (الجزائر الثائرة) وقد ترجم وطبع فى القاهرة.

لقد نجح الاستعمار فى تغريب العالم الإسلامى إلى حد بعيد، وصبغ أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع والتعليم بالصبغة الغربية.

ومع كل هذه النتائج التى لم تكن تخطر ببال .. لا زال الغرب قلقا متوجسا من ظهور قوة الإسلام فجأة وعلى غير توقع.

فالمراقبون للتطور الفكرى والثقافى - رغم ارتياحهم للنتيجة - يساورهم القلق من تغير مفاجئ.

يقول البروفسور جب:

«إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة، فهى تنفجر انفجارا مفاجئًا، قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة، لا ينقصها إلا «صلاح الدين» جديد» [(١)].

والمراقبون السياسيون للشرق الإسلامى، لا يزالون يرون للفكرة الدينية سلطانا على أكثر الرؤوس، وللمشاعر الإسلامية تأثيرًا فى أكثر القلوب، هذا ما يخافون تطوره إلى حركة تنتهى إلى دولة.

ويتحدث الكاتب الألمانى «هنرسين كاستر» فى مقال له سنة ١٩٦٤ تحت عنوان «الإسلام السياسى» [(٢)] فيقول:

«إن الدور الذى يلعبه الإسلام فى الأحداث الجارية بالشرق الأوسط لم يتضح بعد فى أوربا .. ويمكننا أن نقرر أن التفكير الدينى يحدد الكثير مما يجرى فى هذه المنطقة، وأن خلف العديد من المشاكل التى تجرى فى آسيا وأفريقيا تكمن العقيدة المحمدية .. وقد لا يرضى عن هذا التحليل الغربيون

---

(١) من كتاب «وجهة الإسلام» والترجمة هنا للدكتور محمد محمد حسين من كتابه الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٠٦.

(٢) يبدو أن هذا العنوان هو الذى قلده كثيرون من عبيد الفكر الغربى فى بلادنا، أمثال سعيد العشماوى وغيره، وزعموا أنه من ابتكارهم، وهم مجرد نقلة مقلدين.

الذين نبذوا – منذ زمن بعيد – التفسير الديني للأحداث ولكن هذه هي الحقيقة [1].

ويقول السياسي البريطاني المعاصر أنطوني ناتنج في كتابه (العرب) : « منذ أن جمع محمد (ﷺ) أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع، وبدأ أول خطوات الانتشار العربي، أصبح على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة، تواجهه عبر البحر الأبيض .. إن قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربي على مدى ١٣٠٠ سنة في نهضته وانهياره » [2].

هذه بعض أقوال المراقبين المفكرين والسياسيين، وهذه هي مشاعرهم..

أما المراقبون الدينيون من المبشرين ومن على شاكلتهم فهم أشد توجسا وأكثر قلقا.

يقول الأسقف « دي مسنيل » وكيل إدارة البعثات التبشيرية في الشرق – بروما :

« إن الأسباب العميقة لانتشار الإسلام وثباته المذهل سيظل أبدا – بالنسبة لنا – مشكلة لا تجد الحل » [3].

ويقول أسقف آخر في كتاب له عن نشأة الكنيسة والطوائف المسيحية في الشرق : « إن الشعب الإسلامي متمرد، ولا يتيح عملا إيجابيا مباشرا للبعثات التبشيرية الكاثوليكية، وهذا الغزو لا يمكن الوصول إلى حله، وإن سره لا يعلمه غير الله وحده » [4].

---

(١) عن كتاب « الغزو الفكري » للأستاذ جلال كشك ص ٤١ .

(٢) انطوني ناتنج : العرب (لندن ١٩٦٤) – نقلا عن كتاب « القومية والغزو الفكري » لمحمد جلال كشك ص ٢١ .

(٣) الغرب والشرق للأستاذ محمد علي الغتيت ص ٧٥ – ٧٦ .

(٤) المصدر السابق .

● عامل الحقد :

٢ – وأما عامل الحقد فمبعثه الهزائم الدينية والعسكرية المتلاحقة التى منيت بها النصرانية أمام الإسلام الزاحف المنتصر، فلم تملك إلا الخضوع لدولة الإسلام، أو الدخول فى دين الله أفواجًا .

لقد اعتنقت شعوب مسيحية بأسرها عقيدة الإسلام، وزالت ممالك بأسرها من خريطة العالم المسيحى، لتصبح جزءا من دولة الإسلام الكبرى، بعضها انتزع من دولة الروم البيزنطية فى الشرق كمصر والشام وغيرهما، وبعض آخر أقيم فى عقر دار الغرب نفسه، فى أوروبا، حيث قامت دولة الإسلام فى الأندلس لثمانية قرون .

صحيح أن الإسلام لم يكره أحدا على اعتناقه باعتراف كافة المؤرخين – مسلمين وغير مسلمين – وكان التسامح الدينى الرائع أبرز سمة يتميز بها الفاتحون المسلمون . ولكن النتيجة على كل حال كانت هى انتشار الإسلام بين النصارى بفضل هذا التسامح نفسه، وهى نتيجة لم تزل ذكراها تؤذى أنفس الغربيين المسيحيين المتعصبين .

يقول المستشرق الألمانى « بيكر » :

« إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام حين انتشر فى العصور الوسطى أقام سدا منيعا فى وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها » (١) .

لم يبدأ الصراع بين الإسلام والنصرانية أو بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى بالحروب الصليبية – كما يخيل إلى بعض الناس – بل بدأ ذلك منذ عهد الرسول ﷺ ، منذ غزوة تبوك فى العصر النبوى، ثم اليرموك وأخواتها فى عصر الراشدين .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٦ .

لهذا يقرر مؤرخو الغرب – طبقا لما رواه المؤرخ شميل الكبير – « إن مشاكل الشرق (أى بالنسبة للغرب) ولدت بمولد محمد رسول العرب، وأنها ترعرعت وشبت واكتهلت منذ عهد الخلفاء، وهى – على ما يرى – نظير فصول السنة، إذا بلغت نهايتها القصوى عادت وتجددت، فلا يكاد يرى لها آخر، فهى بنت الدين والسياسة، وتدوم بدوامها » (١).

ويقول جيبون :

« إن الحروب الصليبية بدأت بين الغرب والشرق العربى والمسلمين، يوم أعلن الغرب أن الأراضى التى يسيطر عليها العرب والمسلمون كانت أصلا أرضا مسيحية، ثم اغتصبها الإسلام، وأنه لا بد من طرد أولئكم الغزاة الغاصبين » (٢).

وكذلك يذكر المؤرخ إدوارد دريو : أن الحرب ضد الشرق تعتبر فى نظر جميع المسيحيين الغربيين – حربا مشروعة، لأنها تهدف إلى تصحيح وضع غير مشروع – نشأ باحتلال العرب الأراضى المسيحية » (٣).

هذه نظرة الغرب إلى الشرق المسلم، وهى نظرة تفيض بالكراهية والحقد. وقد زادها اشتعالا ما منى به الغرب فى حملاته الصليبية المتتابعة على الشرق الإسلامى من اندحار وخيبة، على يد عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود الشهيد، ثم على يد صلاح الدين وخلفائه، بعد قرنين من الزمان، أمضوها فى محاولة الاستيلاء على الأرض المقدسة فى فلسطين، وانتزاعها من أيدى المسلمين. يقول المبشر « رشتر » :

« جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدى المسلمين المتعصبين .. فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود فى العصور

---

(١) من كتاب « الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس » للأستاذ الغتيت ص ١١١.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١١٢. (٣) نفس المصدر السابق ص ١١٢.

الوسطى كلها، ولكن ذلك الجهد قد خاب، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من التعصب الإسلامى » !! [١].

ولكن مبشراً آخر يكشف النقاب عن حقيقة الدوافع الصليبية فيقول « جاردنر » : ولقد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين، ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى .. والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام »!! [٢].

وبعد ذلك جهدت الكنيسة الصليبية زمنا طويلاً لتنصير المغول، فلما اعتنق المغول الإسلام من تلقاء أنفسهم - بعد أن انتصروا عليه عسكريا، وحطموا الخلافة العباسية. زال أمل كبير من آمال الدول الغربية للسيطرة على الشرق عن طريق الدين [٣].

ولم تقف هزيمة الغرب عند فشل الحروب الصليبية، فقد ظلت انتصارات الإسلام تتوالى على أوربا، عندما حملت الراية يد فتية جديدة، هى يد الأتراك العثمانيين، الذين حولوا آسيا الصغرى كلها إلى أرض إسلامية خالصة. ثم قام فتى الترك العظيم « محمد الفاتح » بفتح عاصمة الدولة البيزنطية « القسطنطينية » لتغدو عاصمة للخلافة الإسلامية، وتصبح مدينة المساجد والمآذن فى أوروبا.

لقد سقطت راية الإسلام فى الأندلس، وانحسر ظل الإسلام عن جنوب أوروبا، وأكره أكثر المسلمين هناك على الانسحاب، وأرغم الباقون بعد ذلك على التنصر أو الذبح، ولم يطل فرح الغرب بذلك كثيرا، فقد خفقت راية الإسلام من جهة أخرى .. من الشرق.

يقول الأسقف « رولان » :

« إن انسحاب الإسلام من شبه جزيرة « آيبريا » (أسبانيا) لم يضع حدا

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٤، ١١٥. (٢) التبشير والاستعمار ص ١١٤، ١١٥.
(٣) التبشير والاستعمار ص ١١٤، ١١٥.

لمتاعب الكنيسة وقلقها . ولم يقف سيل هذه المتاعب التى كانت تجرها الكنيسة على نفسها، لاستهدافها القضاء على الإسلام، فما كان انسحاب الإسلام من أسبانيا، إلا ليطل هلاله عاليا من أعلى قباب كنيسة «القديسة صوفيا» بالقسطنطينية، حيث أخذ الهلال مكان الصليب»! (١) .

وتوالت الانتصارات الإسلامية بعد ذلك فدخلت البلقان تحت سلطان العثمانيين، وتوغل الزحف الإسلامى فى أوروبا حتى كاد يكتسحها، حين هدد «فينا» سنة ١٥٢٩ واستمر هذا التهديد أكثر من قرن ونصف حتى سنة ١٦٨٣م .

وفى الوقت الذى أخذت فيه الخلافة العثمانية تتهاوى وتنهار كان الإسلام يتقدم فى إفريقيا وحده، ويثير نقمة المبشرين وحسدهم، حتى قال الكاردينال «لافيجيرى» : «بينما كان الإسلام على وشك أن ينهار فى أوروبا مع عرش السلاطين من آل عثمان، كان لا يزال ناشطا فى تقدمه وفتوحه على أبواب ممتلكاتنا الإفريقية» (٢) .

لقد كان لا بد لهذه الهزائم العسكرية والدينية التى أصابت المسيحية على يد الإسلام أن يكون لها أثرها فى أنفس الغربيين الموتورة الحاقدة التى تتربص بالإسلام وأهله الدوائر، وتترقب الفرصة المواتية لتنفس عن أضغانها وتراتها وما ركبها من ذل الانهزامات القديمة .

من أجل ذلك كانت جميع الحروب الأوروبية التى شنت فيما بعد على الدولة العثمانية حروبًا دينية صليبية فى أساسها (٣) .

ولقد عملت الكنيسة الغربية جهدها على أن تجعل العداء للإسلام والحقد على أهله، سياسة ثابتة لدى ملوك الغرب وحكامه، وعاطفة راسخة لدى جماهير الناس يتوارثها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد .

---

(١) الغرب والشرق ص ٩٠، ٩١ .
(٢) التبشير والاستعمار ص ١١٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٥ .

يقول المؤرخ «ليدوفيك دى كرنتش»:

«كان الغرب يعمل جاهدا على تأصيل بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين فى نفوس المسيحيين، يتلقونها خلفا عن سلف، ويرضعها الطفل من شعور أمه، كما يرضع اللبن من ثديها، فتسرى فى كيانه مسرى الدم فى عروقه» [١].

وقد ظلت هذه الروح الغبية تسرى فى أوصال الغربيين بأحقادها وعقدها إلى هذا العصر، الذى تمكن فيه الغرب المسيحى من الشرق المسلم، ولم يستطع الكثيرون منهم إخفاء هذه الروح الكامنة، فبدت فى كتاباتهم وتصريحاتهم كلمات واضحة تنبئ عن هذا الحقد الصليبى الدفين.

ولم يخجل اليسوعيون أن يقولوا بصراحة: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟ أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى، والتدين المسيحى ولنعيد – فى ظل العلم الفرنسى، وباسم الكنيسة – مملكة المسيح»[٢].

وليست هذه الأقوال وأمثالها مقصورة على المبشرين ونحوهم من رجال الدين، فقد وجدنا من القادة العسكريين ورجال السياسة والتوجيه، من يتجه هذا الاتجاه. وجدنا اللورد «اللنبى» القائد الإنجليزى، حين يستولى على القدس سنة ١٩١٧، وينتزعها من أيدى الأتراك، يقول كلمته المشهورة: الآن انتهت الحروب الصليبية!.

ووجدنا القائد الفرنسى «غورو» حين يدخل دمشق سنة ١٩٢٠ يقف عند قبر البطل الإسلامى صلاح الدين الأيوبى ليقول شامتا ومتشفيا فى كلمات معبرة: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»!.

ولقد نقلنا من قبل كلمات، «جى موليه» وجورج بيدو وغيرهما عن حركة الجهاد فى بلاد المغرب العربى ونظرتهم إليها نظرة صليبية واضحة.

ولا يخفى على أى متتبع للحوادث ما قاله رئيس الوزراء البريطانى

---

(١) الغرب والشرق ص ٩٧.

(٢) التبشير والاستعمار ص ١١٥، ١١٦.

« غلادستون » فى مجلس العموم : إنه لن يستقر لنا قرار فى الشرق ما دام القرآن باقيا » !!.

وقد نقلنا من قبل بعض ما قاله مسيو هانوتو [١] فى مهاجمة الإسلام، والتحذير منه.

ومثل هانوتو الفرنسى الكاثوليكى : اللورد كرومر الإنجليزى البروتستانتى الذى كان مندوبا « ساميا » للاحتلال البريطانى فى مصر وقد هاجم الإسلام فى كتابه « مصر الحديثة » وفى غيره من تقاريره إلى حكومته.

يقول كرومر: [٢] « إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل كنظام اجتماعى، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى، ولكنه مع ذلك أبدى لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنسانى ..

ويعدد كرومر ما يراه من معايب الإسلام فيقول بأنه حرم المرأة من كل حقوقها، ويعتبرها أحط من الرجل، وأنه يبيح الرق، وأنه دين متعصب متطرف، يبيح لأتباعه أن يتخذوا المخالفين لهم فى العقيدة أسرى حرب ورقيقا، ويكفر كل من لا يعتقد برسالة محمد، ويجعل من أتباعه جماعة من أنصاف الهمج، المحبين للحروب، والذين لا تتسع صدورهم لأى تسامح ...

ثم يأخذ كرومر فى مقارنة بين المسيحية والإسلام، يحاول أن يبين فيها صلاحية المسيحية للعصر وتفوقها، ويوازن بين أسلوب الشرقى وأسلوب الغربى فى الحياة والتفكير، محاولا تحقير أسلوب الأول وتسفيهه .. إلخ.

ولقد برز الحقد الصليبى فى أعمال ووقائع لا تحصى إلى جانب الأقوال

---

(١) فى مقال له بالفرنسية ترجمته ونشرته جريدة المؤيد القاهرية سنة ١٩٠٠ ورد عليه الشيخ محمد عبده فى ثلاث مقالات مشهورة وقد طبعت بعدها مستقلة مع مقالات أخرى (أنظر تاريخ الأستاذ الإمام ج ٢ ص ١٠٤ وما بعدها.

(٢) عن كتاب « الاتجاهات الوطنية » جـ ١ ص ٢٤٠ ط ثانية وقد نقل المؤلف هذه الفقرات من النص الإنجليزى.

والتصريحات المذكورة وغيرها. تجلى ذلك فى مساندة حكومة «هيلاسلاسى» وما بعدها من الحكومات النصرانية ضد الأكثرية المسلمة فى الحبشة. وفى مساندة (أفورقى) وقبيلته المسيحية ضد الأغلبية من المسلمين فى (إريتريا).

وفى خلق مشكلة جنوب السودان التى نسج لحمتها وسداها الاستعمار من أول الأمر، ولا زال يغذيها بالمال والسلاح والعون المادى والأدبى إلى اليوم.

وفى تسليم جمهوريات أفريقية إسلامية لرؤساء مسيحيين.

وفى ممالأة القبارصة اليونانيين المسيحيين ضد الأتراك المسلمين.

وفى خلق القلاقل لنيجيريا المسلمة وخاصة المنطقة الشمالية منها التى يكون المسلمون القسم الأعظم من سكانها.

وقبل ذلك كله فى صنع دولة العدوان والبغى «إسرائيل» خنجرا مسموما فى صدر العالم العربى والإسلامى كله، ذلك الخنجر الذى بدأت بصناعته بريطانيا، وقامت على إتمامه أمريكا، وساعدت فيه أخيرا دول غربية عدة – هذا كله على رغم ما بين اليهودية والمسيحية من خلاف ومن تراث عدائى عميق الجذور.

إن الاستعمار يحاول أن يخفى روحه الصليبية ببعض الأقنعة الزائفة، ولكن ثوب الرياء يشف عما تحته، فإذا أغراضه الحقيقية تتكشف ماثلة للعيان. لماذا دخل الاستعمار الجزائر؟ قد يقال: إنه دخلها لتأديب حاكمها، أو لتحقيق بعض المطامع المادية. ولكن الوقائع بعد ذلك تنبئ عن الروح الصليبية الكامنة تحت السطح فى اللاشعور، بل فى الشعور.

لقد دل على ذلك علم مدينة «الجزائر» فى عهد الاستعمار الفرنسى.

وأظن هذه الأمثلة التى ذكرتها كافية فى الدلالة على البواعث النفسية التى تحرك الغربيين، وعلى أن الروح الصليبية لم تمت بين جنوبهم، خلافا لما يقرره بعض الكتاب الغربيين الذين يجهلون أو يتجاهلون ما تفعله الأصابع الصليبية فى الخفاء.

يقول: « جان بول رو » فى كتابه « الإسلام والغرب » [1]:

« إن أوروبا اليوم بعيدة كل البعد عن الروح الصليبية، بل إنها فى الحقيقة قد تخلت عنها تماما، والحرب بالنسبة لها لم تعد قضية دينية، بل مسألة اقتصادية صرفة، ولم يعد فى استطاعتها أن تفهم الإسلام عندما يتحدث عن الجهاد ».

والعجب أن يصدق ذلك بعض المسلمين المسرفين فى حسن الظن بالغرب، وينكر أو يشك أن تكون المشاعر الصليبية باقية إلى اليوم فى نفوس القوم، معتقدا أن المصالح المادية وحدها هى التى تسيرهم، وتحدد علاقاتهم بالناس، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. وهو رأى ترده كل الأدلة والتصرفات التى ذكرنا نماذج منها.

وأود أن أنبه على الفرق بين الروح الدينية والروح الصليبية التى أصف بها القوم، فإن جمهور الناس فى الغرب لا يحفلون بالدين، ولا يحكمونه فى حياتهم. وديانتهم هى المادية والنفعية، كما شهد بذلك شهود من أهله، وكما سنبين ذلك فى فصل (عبيد الفكر الغربى) ولكنهم - مع هذا - ينظرون إلى الإسلام وأتباعه نظرتهم إلى عدو غلبهم قرونا طويلة بقوته الروحية والمادية.

ولا مانع من أن ترى الرجل ملحداً هناك، ولكنه يبغض الإسلام وحضارته وأمته بهذا الاعتبار، الذى خلقه الصراع المديد بين الشرق والغرب، وترك وراءه رواسب فى المشاعر والأفكار، لا يزال لها تأثير وسلطان.

على أن فى الغرب من الرجال المدنيين والعسكريين من لا تزال تحركه حوافز دينية خالصة أو غالبة. ومنهم من يرى المصلحة الاستعمارية فى الاستجابة لأصحاب الحوافز الدينية، أملا فى استخدامهم لأغراضهم المادية.

---

(١) ص ١٣٣ الترجمة العربية طبعة بيروت.

وبهذا وذاك نعرف الدوافع المشتركة التى أفضت إلى التعاون الملموس بين التبشير والاستعمار بحيث نستطيع أن نسمى الاستعمار تبشيريا، كما نسمى التبشير استعماريا. لقد كان المبشرون يمزجون الدين بالسياسة، وكان الحكام والإداريون يمزحون السياسة بالدين، ولكن كما قال الدكتوران: مصطفى الخالدى وعمر فروخ: كان الدين هو الوسيلة، وكانت السياسة هى الهدف الحقيقى، والسياسة هنا معناها: استعباد الغرب للشرق» [1].

إن الاستعمار الصليبى يعتقد أن الإسلام هو العقبة الكؤود التى تحول دون توغله الفكرى والحضارى، وتمسك المسلمين أن يذوبوا فى ثقافته وحضارته، وكلما اختفى الإسلام من الميدان كلما استطاع الغربيون أن يؤثروا ويسيطروا بأفكارهم وثقافتهم .. فإذا ظهر الإسلام فى صورة «دعوة» أو «حركة»، تحطم فى سنوات ما بناه المستعمرون فى أجيال. فكيف إذا برز الإسلام فى صورة «دولة» تحكم بقرآنه وسنته، وتربى الأمة على هدية وقيمه، وتدبر دفة الحياة بتعاليمه وقوانينه ووصاياه؟.

لهذا نرى كثيرا من كلماتهم تصب جام حقدها على القرآن وعلى الرسول وعلى مقدسات الإسلام كلها.

يقول ويليم جيفورد بلجراف: «متى توارى القرآن، ومدينة مكة من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة، التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه» [2].

وهناك كتاب آخرون – وخاصة من الكاثوليك – تدل كتاباتهم على أنهم مصابون بما يشبه «الهيستيريا» نتيجة خوفهم من الإسلام، وحقدهم عليه. فلنستمع إلى أحد هؤلاء.

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٨.

(٢) انظر: كتاب «الغارة على العالم الإسلامى» ترجمة الأستاذين مساعد اليافى، ومحب الدين الخطيب ص ٥٥.

يقول المسيو « كيمون » المستشرق الفرنسى، فى كتابه « بايولوجيا الإسلام » :

« إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هى مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولى يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور، ويجمح فى القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة، والذهول العضلى، وتكرار لفظة « الله » إلى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب إلى طبائع أصيلة : ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات . . .

وينتهى مسيو كيمون إلى أنه يرى المسلمين وحوشا ضارية، وأن الواجب إبادة خمسهم، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة ، ووضع قبر « محمد » فى متحف اللوفر . . . !!

ومثل هذا الكلام السخيف لا خطورة له، إنما يدلنا على مبلغ ما تمتلئ به أنفس القوم من حقد دفين.

ومقترحاته الصبيانية لا أهمية لها. فقد كان القوم أعقل منه وأخبث وأمكر. لقد أراد القوم أن يصلوا إلى ما اقترحه كيمون وبلجراف وغيرهما من غير أن يدمروا الكعبة أو يمزقوا المصحف، أو يزيلوا قبر محمد ﷺ. وذلك بتحطيم القوة الإسلامية من داخلها بالكيد والدس، وتسميم الأفكار، ووضع السم فى الحلوى.

يقول الأسقف « دى ميسنيل » وكيل إدارة البعثات التبشيرية فى الشرق بروما :

«إن الهدف الذى يتعين على المبشر تحقيقه، هو تحطيم قوة التماسك الجبارة التى يتميز بها الإسلام، أو – على الأقل – إضعاف هذه القوة (١)».

ونحن لا يسعنا – أمام هذه الأحقاد والمكايد – إلا أن نتلو قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢ – ٣٣].

● عامل الجهـــــل:

٣ – ومما يغذى عاملى الحقد والخوف عند الغربيين جهلهم بالإسلام ونبيه وكتابه وحضارته وأمته وتاريخه، وذلك من أثر الأفكار المشوهة المكذوبة التى روجها الدجالون المرتزقون بالدين، فيما بينهم كتابة أو شفاها. وهذه الحملة المسعورة من الأباطيل والأكاذيب قد شنها الأوربيون منذ الحروب الصليبية، ولم تخف حدتها إلا فى نصف القرن الأخير، حين عرف الغربيون أن المسلمين يقرأون ما يكتبون.

وكان المبشرون فى الزمن الأخير أكثر الذين كتبوا فى تشويه صورة الإسلام، وإلصاق التهم الباطلة به وبأمته، ومثلهم كثير من المستشرقين الذين هم مبشرون يلبسون مسوح العلم!!.

وأشهر هذه التهم أن الإسلام قام بالسيف، وأن هذا السيف أخضع شعوب آسيا وأفريقيا شعبا بعد شعب، كما زعم «نلسون» ويقول آخر: إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح (٢).

ولنقرأ هذا التصوير لظهور الإسلام للمدعو «كولى» فى كتابه «البحث عن الدين الحق» حيث قال عن الإسلام: «فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق

---

(١) الغبر والشرق ص ٨٢.

(٢) نفسه ص ٤١.

عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب .. لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون (يعنى يموتون شهداء) فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات (الجنة) وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا . لقد أصيبت المدنية ! » .

وينقل لنا الأمير مصطفى الشهابى رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق نصا عن المؤلف الفرنسى جورج هاردى من كتابه « قضايانا الاستعمارية الكبرى » يقول :

يرى أعداء الإسلام أن الأمم الاستعمارية ستخفق فى محاولتها ترقية المسلمين (كذا) وتقريبهم منها، لأن الإسلام عدو طبيعى للمدنية الأوروبية . وهو دين تعصب شديد، أو هو كما يقول الإنكليز والأمريكيون : « دين ناشز » ومناف للاجتماع ! فبدلا من أن يتأنس أو يتحضر، نراه فى كل يوم أشد تمسكا بعقيدة صلبة عقيمة، والإسلام يتجنب الغير، وينتهى إلى الجامعة الإسلامية، أى إلى مذهب سياسى من أشد المذاهب خطرا على سلام العالم . ولذلك يحلم بعض الإنكليز اليكسوئيين بأن يجروا عليه آخر حملة صليبية . ويرى كثيرون ممن لا يذهبون إلى هذا الحد : أن من واجب الدول الاستعمارية تنظيم دعاية واسعة على الإسلام، وأنه يجب اتخاذ كل الوسائل لحصر الإسلام فى معقله الدينى، ونشر الدعوة إلى الإلحاد أو إلى النصرانية فى أواسط المسلمين [١] » .

هذه الصورة المشوهة للإسلام تدل على الحقد الدفين عند القوم على الإسلام، كما تدل على جهلهم الشنيع بأصوله وتعاليمه، فليس الإسلام خطرا

---

(١) من كتاب (محاضرات فى الاستعمار) للأمير مصطفى الشهابى ص ١٩٠ ط معهد الدراسات العربية بالقاهرة .

على سلام العالم، وإنما هو خطر على البغى والطغيان فى العالم، وإلا فهو دين السماحة والسلام والرحمة والبر والأخوة الإنسانية.

ومن أدلة الجهل المغذى لحقد ذلك النشيد العجيب الذى كان يلقنه الجنود (الطليان) أثناء حربهم لليبيا العربية المسلمة. وقد جاء فى هذا النشيد الفاشيستى على لسان جندى لأمه:

(يا أماه) أتمى صلاتك، ولا تبكى ، بل اضحكى وأملى.

ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا،

لابذل دمى، كى أسحق الأمة الملعونة.

لأحارب الديانة الإسلامية التى تجيز البنات الأبكار للسلطان!!

سأقاتل بكل قواى، لأمحو القرآن) !! [1]

.... وإن لم أرجع، فلا تبكى على ولدك، ولكن اذهبى فى كل مساء، وزورى المقبرة ونسائم الأصيل تحمل إلى طرابلس وداعك الذى يأبى الحداد على فلذة كبدك.

وإن سألك أحد عن عدم حدادك علىّ (فأجيبيه) إنه مات فى محاربة الإسلام!![2]

فهذا التعصب الأعمى، والعداء المستميت والحقد الأسود على الإسلام وأهله، مصدره الجهل الذى غذاهم به القساوسة والكهنة طيلة القرون الوسطى.

---

(١) علق السيد رشيد رضا على هذه العبارة حيث ذكرها الأمير شكيب أرسلان في كتابه (لماذا تأخر المسلمون؟) بقوله: الديانة الإسلامية لا تجيز للسلطان إلا ما تجيزه لغيره من المسلمين، وهو تزوج البكر والثيب، ولكن الأفرنج تبيح لهم نصرانيتهم الافتراء علي الإسلام، وتبيح لهم مدنيتهم الزنا ، حتي أفسدوا كل قطر دخلوه ببغاياهم، لاسيما الطليان منهم. اهـ.

(٢) انظر: مجلة الرابطة الشرقية عدد ٢ من السنة الثالثة – نوفمبر ١٩٣٠ نقلا عن الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين. وانظر كذلك: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ للأمير شكيب أرسلان: منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٥م.

● **عامل الطمع :**

٤ – وأما عامل الطمع الاستعمارى فهو مكمل لعامل الخوف، أو هو أساس له فى الواقع، فإن ما يطمع الاستعمار فيه من المغانم والمصالح ومناطق السيطرة والنفوذ، يخاف عليه من الضياع كله أو بعضه.

ومطامع المستعمرين فى ثروات الشرق الإسلامى وخيراته وبتروله لا تخفى على أحد.

وكل يقظة إسلامية أو حركة إسلامية يعدها المستعمرون خطرا على هذه المطامع، وتهديدا لهذه المصالح.

ولا أريد أن أتوسع هنا فى شرح هذا العامل ، فذلك مما لا يختلف فيه اثنان والذين ينكرون أو يشكون في بعض العوامل الأخرى، لا يشكون فى هذا الدافع الذى يدور حول المصالح الاستعمارية فى آسيا وإفريقيا وحرص الاستعمار على دوام استغلاله لثروات هذا العالم الشرقى، واعتباره الإسلام هو العقبة الكؤود فى سبيل ذلك، لأنه المحرض الدائم على المقاومة والتحرر من سلطان الأجنبى الكافر، والداعى إلى الجهاد فى سبيل الله لاستخلاص الحق من مغتصبيه.

فمصالح الاستعمار ومطامعه المادية، ومكاسبه السياسية والاقتصادية، لا ضمان لبقائها إذا استيقظ العملاق الإسلامى من نومه، وانطلق من قمقمه.

● **عامل الكبر :**

٥ – وأما عامل الكبر، فمصدره أن الغربيين يعدون أنفسهم سادة العالم، وأن هذه السيادة ليست مرحلة مؤقتة من التاريخ اقتضتها ظروف معينة، بل لأنهم جنس أرقى من سائر الأجناس البشرية، يجرى فى عروقهم دم أزكى وأفضل من دماء الآخرين. هو (الدم الآرى) وهم ينظرون إلى العالم كله وإلى التاريخ كله من زاوية أوروبا، كأنه ليس على خريطة العالم إلا أوروبا، وليس فى تاريخ العالم غير أوروبا. فتاريخ القرون الوسطى يبدأ بسقوط روما، والتاريخ الحديث يبدأ بسقوط القسطنطينية، فإذا تحدثوا عن جهالة القرون الوسطى وظلامها

وتخلفها لم يلتفتوا إلى الحضارة الزاهرة التى صنعها الإسلام فى الشرق وفى الأندلس.

إنهم يرون حضارتهم أم الحضارات، وفلسفتهم أولى الفلسفات، وتشريعهم أبا التشريعات.

هذه النظرة هى الغالبة عليهم، والشائعة فيهم، وإن لم تخل مجتمعاتهم من أفراد معتدلين منصفين، شهدوا للإسلام وأهله وحضارته شهادة فيها كثير من العدل والإنصاف.

فإذا جاء من الناس من يدعو إلى الإسلام عقيدة ونظاما وحضارة، من يعد عقيدته أطهر العقائد، ونظامه أعدل النظم، وحضارته أسمى الحضارات، ويعد أمته خير أمة أخرجت للناس، وتاريخها أمثل تاريخ عرفه البشر جميعا، ويرى فى الإسلام حلا لكل عقدة، وعلاجا لكل مشكلة، وغنى عن كل مذهب، أو فكرة في الشرق أوفى الغرب. فهذا أمر يسوء الغربيين ويصدم غرورهم بأنفسهم ومبادئهم وأنظمتهم وحضارتهم، ويثير فيهم روح المقاومة لهذا الإسلام الذى يجعل من نفسه وصيا على العالم، ويجعل من أتباعه شهداء على الناس، ويفرض أستاذيته على سائر الأمم كما قال كتاب الإسلام: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٨].

إن شعور الاستعلاء الأصيل فى طبيعة الإسلام ودعاته واستعصاء أمته على التبعية الفكرية، والعبودية السياسية، التى أراد الغرب أن يفرضها يوما على الشرق الإسلامى، قد أثار كبرياء الغربيين ونقمتهم على الإسلام ودعوته وجعلهم يقفون موقف المناوأة والمعاداة لكل من يدعو إليه، ليقود الحياة من جديد.

● أساليب الاستعمار فى الكيد للإسلام :

كانت أساليب الاستعمار فى حرب الإسلام وتعويق دعوته، كثيرة جدا . نذكر منها :

١ – التشكيك فى الإسلام عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة، وشن حملات التشويه على رسول الإسلام وكتابه وأمته وتاريخه، وذلك عن طريق الدراسات الاستشراقية والتبشيرية التى قام بها رجال يلبسون مسوح العلم أو الدين، وهم أبعد شئ عن العلم والدين. ثم تولى المهمة من بعدهم تلاميذهم وخريجوهم ممن ينتسبون إلى الشرق والإسلام بالدم والنسب والاسم، وإن كانوا غربيين بالثقافة والفكر والروح .

٢ – تحويل أفكار المسلمين ومشاعرهم عن الإسلام والولاء له، والتكتل تحت رايته، والأخوة فى ظله، إلى رايات وشعارات ودعوات دخيلة على حياة المسلمين، أجنبية عن أفكارهم ومشاعرهم كالقومية والعلمانية، والرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية – بمفاهيمها الغريبة – وكلها بضاعة استعمارية أجنبية .

٣– نشر الأفكار الإلحادية والنظريات المادية التى تجحد الإيمان بالله ورسالته، وتقوم على أن لا شئ فى الوجود سوى المادة الحسية . وهذه الأفكار بطبيعتها إذا انتشرت وسادت وقفت عقبة فى طريق الدعوة إلى الإسلام . وذلك عن طريق التعليم والمناهج المدرسية والجامعية، وطريق الصحافة والإعلام والثقافة العامة .

٤ – نشر الانحلال الخلقى والإباحية، وتعميق جذورها ،وآثارها فى المجتمع، عن طريق وسائل الإعلام التى يسيطرون عليها . وبذلك تفسد الأجيال الناشئة وتنحل أخلاقها، فلا تصلح لحمل رسالة الإسلام، بل تقاومها وتنفر منها، لأنها ضد شهواتها .

٥ – خلق زعامات دينية زائفة تقاوم الفكر الإسلامى الصحيح، وتوفير كل الإمكانات لترويج بضاعتها وتكثير أنصارها، مثل غلام أحمد القاديانى صنيعة

الاستعمار البريطاني في الهند. وذلك كله على حساب قوة المسلمين ووحدتهم. فقد أحدثت الدعوة القاديانية فتنة بين المسلمين، واعتبرها العلماء والمفكرون (ثورة على النبوة المحمدية) ولكن الإنجليز أيدوها بقوة.

٦ – إثارة النعرات الوطنية والقومية المختلفة والتي من شأنها أن تمزق وحدة المسلمين، ورابطتهم الأخوية. والتي تحول ولاء المسلم لدينه إلى ولاء لوطنه الصغير أو قوميته الضيقة. لقد حاولوا أن يلفقوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية تشغله بنفسه وتعزله عن إخوته المسلمين.

«لقد أرادوا أن يبعثوا «الفرعونية» من خلال حجارة (الأهرام) ومعابد الكرنك في مصر»، و «الفينيقية» من خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. ثم إنهم لفقوا في العراق دعوة «أشورية» لم يكتب لها أن تولد حية [١].

٧ – خلق زعامات سياسية لا دينية، وإضفاء البطولة عليها زورا، واصطناع انتصارات لها، وتظاهر الاستعمار بالانهزام أمامها لتتعلق بها الجماهير وتتخذها أصناما مقدسة.

وبذلك يتمكن الاستعمار من الاعتماد عليها في طعن الإسلام ودعاته. وتحويل الأمة عن الإسلام «الناشز» إلى اللادينية الطيّعة!

وهكذا صنعوا زعامة كمال أتاتورك لإبعاد تركيا عن الإسلام. ولا زلنا نرى خلفاء له وأشباها في البلاد العربية تضخم لهم الدعاية وتصطنع لهم البطولات.

٨ – خلق قيادات فكرية وأدبية من عبيد الفكر الغربي، وأنصار العلمانية، ونفخهم بوساطة الإعلام وأجهزته، حتى يصبح صوتهم مسموعا، ولواؤهم مرفوعا، ومخالفهم مقموعا، وتهيئة كل الفرص لهم، ليبرزوا بروز العمالقة، ويظهر خصومهم أقزاما مدحورين.

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار للدكتورين: عمر فروخ ومصطفى الخالدي ص ١٧٤.

وفى بلادنا العربية والإسلامية كثير من هؤلاء المنفوخين، الذين أضفيت عليهم الألقاب الهائلة، فهذا عميد الفكر، وهذا أستاذ الجيل، وذلك ركن الأدب، وآخر مستشار الثقافة .. وهم فى الحقيقة أشبه بالبالونات المنتفخة، تكفى شكة دبوس لتفريغها، فلا تكاد تجد منها شيئا.

٩ - وفى مقابل هذا التضخيم والتفخيم للزعامات العلمانية الزائفة تقوم حملات منظمة لتشويه سمعة المخلصين من دعاة الإسلام، بنشر الأكاذيب، وتلفيق التهم، حول شخصياتهم، وحول فكرتهم التى يدعون إليها، لصرف الناس عنهم.

١٠ - تضييق الخناق على كل حركة إسلامية صحيحة الاتجاه. فإن لم يكف التضييق والاضطهاد الخفى، كان اللجوء إلى التنكيل والتشريد، وكيل الضربات الوحشية التى لا تتورع عن القتل تحت السياط وآلات التعذيب سرا، وعلى أعواد المشانق أو بإطلاق الرصاص علنا [١].

قد يصنع ذلك الاستعمار بيديه مباشرة، وقد يفعل ذلك بالإيعاز والتشجيع لعملائه وأعوانه وحلفائه. وكل اللادينيين حلفاء طبيعيون للاستعمار، وأصدقاء مؤيدون من قبله، يبارك خطواتهم، ويعضد اتجاهاتهم، ويمدهم بالعون المادى والأدبى لضرب أعدائه «الإسلاميين المتعصبين» !!.

لا يتورع الاستعمار المتربص الحقود من سفك الدم إذا لم يجد وسيلة غيره. وخاصة مع كل زعيم أو قائد يخشى أن يكون له دور مؤثر فى حياة بلده أو شعبه، وأن يقوم وراءه تكتل قوى، حينئذ يحكم الاستعمار الصليبى سرا بالإعدام على هذا الزعيم أو المفكر، ويختلف التنفيذ باختلاف البلاد والأحوال والظروف.

---

(١) كما فى حادثة «ليمان طره» التى قتل فيه بضعة وعشرون سجينا بنيران المدافع والبنادق، بغير ذنب، إلا أنهم طالبوا ببعض حقوقهم. انظر وصف هذه المجزرة فى كتاب «أقسمت أن أروى» للكاتب اللبنانى المسيحى «روكسى معكرون».

وهكذا قتل حسن البنا وعبد القادر عودة ومحمد فرغلي وسيد قطب، وأحمدو بللو، ومالكولم أكس، وفيصل بن عبد العزيز، في أوقات كانت أوطانهم وشعوبهم أحوج ما تكون إليهم. وإلى حسن قيادتهم.

هل حدث ذلك كله صدفة؟ أو هو تخطيط قوة جبارة تعمل لحرب الإسلام، لها أيد وأجهزة خفية تنفذ لها ما تريد؟.

● مخاوف الغرب من الصحوة الإسلامية:

وإذا كان الاستعمار القديم يقف موقف العداء للحل الإسلامى، وللنهج الإسلامى، وللفكر الإسلامى، والعمل الإسلامى، فقد ورث الغرب الحديث هذه الروح، ولم تزل تسرى فى كيانه، وإن كان بعض الغرب قد تخلى عن فكرة الاستعمار، ولكن أكثر الغرب – للأسف الشديد – لم يتخلّ عن الروح الصليبية. على أن بعض الغرب لا زال يحمل فكرة الهيمنة الإمبريالية بصورة أو بأخرى، كما يتجلى ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تمثل الاستعمار الجديد، والتى تسير فى ركابها بريطانيا أيضا، كما ترى ذلك فى موقفهما من العراق وحصاره، وضرب شعبه بالطائرات والقذائف والصواريخ، وقتل أطفاله بالتجويع، ومنع الغذاء والدواء.

وقبل ذلك حصار ليبيا لعدة سنوات، وبعد ذلك حصار السودان، وضرب بعض المواقع فيه – مصنع الشفاء للدواء – بالطائرات والصواريخ.

وقد جهد الغرب جهده، ومكر مكره، واستعان بكل مارق وخائن ممن ينتسب إلينا بلسانه، وعقله وقلبه ضد أمته. وكان أكبر همه أن يحول دون انطلاق المد الإسلامى، ويؤخر انبلاج فجر الصحوة الإسلامية. ولكن من الذى يستطيع أن يوقف التاريخ، أو يناطح المريخ، أو يقاوم الأقدار، أو يحارب القهار، أو يمنع بزوغ النهار؟.

لقد تفجر سيل الصحوة الإسلامية فى كل مكان، ورأيناها صحوة عقول

وأفكار، وصحوة قلوب ومشاعر، وصحوة إرادات وعزائم، وصحوة عمل وسلوك، وصحوة غيرة وحماس، وصحوة دعوة وجهاد، وصحوة تغيير وإصلاح. وتجلى أثرها فى الشبان والشابات، وفى الجوامع والجامعات، وفى الثقافة والفكر، وفى ميادين الجهاد وفى الاقتصاد والسياسة، وفى الأسرة والمجتمع، وفرضت نفسها على الساحات كلها، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وقد فوجئ الغرب بهذه الصحوة الهائلة، ففقد توازنه، بل جن جنونه، وطفق يهرف بما لا يعرف، ويخبط خبط عشواء، كيف ظهرت هذه الصحوة؟ متى تم الحمل بها؟ ومتى ولدت؟ وكيف ترعرعت؟ وكيف شبت؟ وأين كنا نحن فى هذا الوقت؟ وفى هذه المراحل كلها؟ وكيف نعطل مسيرتها أو نعوقها على الأقل؟ وكيف نغرى الحكام بالصدام معها؟ وكيف نضرب بعضها ببعض؟ وكيف؟ وكيف؟.

وبدت هذه المخاوف فى ندوات تعقد فى العلن. وجلسات تعقد فى السر، وقرارات تتخذ، وحرب تعلن جهرة أو تمارس خفية.

إنه القلق بل الرعب من الإسلام: أن تنكشف غمته، وتنزاح محنته، وينطلق مارده، ويعود إلى سابق عهده، استقامة ويقينا وقوة ووحدة.

هذا ما يخافه الغرب ويفزع منه إذا لاح بخاطره، ويحسب له ألف حساب وحساب. وهو ما يحلم به فزعا فى الليل، ويفكر فيه قلقا فى النهار.

لقد رصدت مئات الملايين لدراسة الصحوة، ثم لتعويقها، وخصوصا بعد أن سقط الاتحاد السوفيتى، ورشح (الإسلام) ليكون هو (العدو الجديد) الذى ينبغى أن تعبأ له القوى، وتجند لمقاومته الطاقات، وتحشد ضده مشاعر الخوف والكراهية، بعد تجلية التهديد بخطره، والتخويف من شره وشرره.

وقد حاول بعض العلمانيين المتبجحين أن ينكر تخوف الاستعمار

والصهيونية والغرب الصليبى بصفة عامة، من دعوة الإسلام، وصحوة الإسلام وحركة الإسلام، وأمة الإسلام. وزعم أن هذه أسطورة لا ظل لها من الحقيقة [1].

وحسبى هنا أن أسجل بعض ما نشرته الصحف الغربية أو الإسرائيلية عن الصحوة الإسلامية والتحذير منها، وتحريض الحكام على ضربها بوحشية، حتى لا تقوم لها قائمة.

وما أذكره هنا هو قليل من كثير، وغيض من فيض.

١ - نشرت صحيفة الصنداى تلغراف البريطانية فى عددها الصادر فى ١٧ / ١٢ / ١٩٧٨، وعلى الصفحة السابعة عشرة مقالا بقلم يبر غرين دورستورن، أشار فيه: أن الغربيين يقعون فى خطأ كبير، حين يظنون أن الخطر الذى يتهدد مصالحهم فى الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين؛ لأن الخطر الحقيقى والوحيد، الذى يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم فى المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين، والذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل، رغم كل ما أوقعته بهم النظم الصديقة للغرب فى المنطقة، من محن وتنكيل.

ويؤكد كاتب المقال أن الأحداث الجارية فى منطقة الشرق الأوسط تشير إلى أن التيار الإسلامى المتطرف، أصبح قائما فى جميع بلدان المنطقة بدون استثناء.

ويقول الكاتب: إن أكبر خطأ يرتكبونه الغربيون، هو عدم تفكيرهم - بجدية - فى ضرورة التدخل العسكرى المباشر فى المنطقة، فى حالة عجز الأنظمة الصديقة عن كبح جماح المتطرفين المسلمين! ويؤكد أن شعور الغربيين بالندم وتأنيب الضمير إزاء تورطهم فى الحرب الفيتنامية، يجب أن لا يكون سببا فى

---

(١) هو الدكتور فؤاد زكريا، وقد رددناه عليه فى أواخر كتابنا (الإسلام والعلمانية وجها لوجه).

إقناعهم بعدم استعمال القوة العسكرية ضد المتطرفين المسلمين؛ لأن خطر هؤلاء المتطرفين المسلمين لا يقارن بأى خطر آخر، مهما كان.

وينهى يبرغرين دورستورن مقاله قائلا:

«إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضة الإسلامية فى الشرق الأوسط، لن يفيدنا بشئ، وإذا لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكرى، يفوق عنفها الدينى، فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصرانى بمصير مهين، يجلبه على نفسه، إذا استمر تهاوننا فى مواجهة المسلمين المتطرفين».

٢- فى تعليقها على أحداث إيران وتركيا قالت صحيفة «كمشلر الفايجلر»، التى تصدر فى كولونيا بألمانية الغربية:

«إن الأحداث الأخيرة فى تركيا وإيران، وعودة نشاط الاتجاه الإسلامى فى مصر، وغيرها من الدول العربية، تعطى الدليل على أن الإسلام وحده، وليست الدول الكبرى أو الأنظمة الموالية لها، هو الذى يلعب الدور الرئيسى فى منطقة الشرق الأوسط».

وقالت الصحيفة: «إن على الغرب أن يدرك - الآن - أن المستقبل القريب، سيشهد تحولا جَذريا فى منطقة الشرق الأوسط لمصلحة الاتجاهات الإسلامية، وعلى الغربَ - إذا أراد المحافظة على الحد الأدنى من مصالحه فى الشرق الأوسط - أن يبدى مرونة فى تفهم مقاصد الاتجاهات الإسلامية، التى تسعى للحصول على كيان جديد قوى، يتلاءم مع «الإسلام»».

٣ - نشرت صحيفة الجروزلم بوست الصهيونية، فى عددها الصادر فى ٢٥/٩/١٩٧٨، مقالا كتبه حاييم هيرتزوغ السفير اليهودى السابق لدى الأمم المتحدة، تحت عنوان «كى لا نخسر الأصدقاء، ونشد من عضد الأعداء» قال فيه:

«إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة، قد

أظهرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية، وقبل هؤلاء جميعا، وكالة الاستخبارات الأمريكية، كانت تغط فى سبات عميق ».

وقال هيرتزوغ:

« إن معلومات كثيرة عن طبيعة الإسلام وعن القوى الإسلامية الفعالة النشطة، كانت متوفرة لدى زعماء الغرب، وخاصة أولئك المسؤولين عن الأمن فى واشنطن، وإن جهودا كثيرة بذلت لكبت نشاط الحركات الإسلامية المتعصبة، ولكن الأحداث الأخيرة فى المنطقة الإسلامية، وعودة الاتجاه الإسلامى ليمارس نشاطه على نطاق واسع فى مصر وأفغانستان وسوريا وتركيا وإيران وغيرها، قد أظهرت أن جميع الأساليب، التى اتبعت لكبت نشاط الحركات الإسلامية كانت أساليب فاشلة على المدى البعيد، رغم ما حققته من نجاح لفترات قصيرة ».

وأردف حاييم هيرتزوغ قائلا:

« إننا نشهد اليوم ظاهرة غريبة ومثيرة للاهتمام، وتحمل فى ثناياها الشر للمجتمع الغربى بأسره، وهذه الظاهرة هى عودة الحركات الإسلامية، التى تعتبر نفسها عدوة طبيعية لكل ما هو غربى، والتى تعتبر التعصب ضد اليهود بشكل خاص، وضد الأفكار الأخرى بشكل عام فريضة مقدسة ».

٤ – وفى عددها الصادر فى ٢١ / ١ / ١٩٧٩، نقلت صحيفة « الرأى » الأردنية عن وكالة الأنباء الفرنسية أن صحيفة « الواشنطن بوست » الأمريكية ذكرت أن الرئيس الأمريكى السابق (جيمى كارتر) طلب من وكالة المخابرات الأمريكية أن تعد دراسة عن نشاطات الحركات الإسلامية فى العالم كلــه.

ونسبت صحيفة « الواشنطن بوست » إلى « زبيغنيو بريجينسكى » مستشار البيت الأبيض – آنذاك – لشؤون الأمن القومى قوله:

« إن الإدارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ إزاء تزايد نشاط الحركات الإسلامية المنتشرة فى العالم الإسلامى، وأن الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى إعداد

دراسة جديدة حول الحركات الإسلامية المتشددة، ليسهل على الإدارة الأمريكية وأصدقائها فى المنطقة الإسلامية مراقبتها عن كثب، حتى لا تفاجأ باندلاع ثورة إسلامية جديدة في أى مكان فى العالم الإسلامى؛ لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام بأن يلعب دورا مؤثرا فى السياسة الدولية».

٥ - وذكرت صحيفة «القبس» الكويتية فى عددها الصادر فى ٢٤ / ١ / ١٩٧٩، أن مجلس الأمن القومى الأمريكى طلب من هيئة المخابرات البريطانية تزويد الإدارة الأمريكية بكل ما يتوافر لديها من معلومات تتعلق بالحركة الإسلامية، والاستعانة بها فى وضع الخطط الكفيلة بالقضاء على خطرها قبل فوات الأوان.

٦ - وفى عددها الصادر فى ٨ / ٧ / ١٩٧٩، نقلت صحيفة «القبس» الكويتية أيضا عن صحيفة «فورتشن» مقالا آخر، وجاء فيه ما يلى:

«إن الاتجاه الدينى فى مصر يرسخ أقدامه يوما بعد يوم، فالشباب المصرى مفتون بالصحوة الإسلامية الثورية، كما أن الفتيات المصريات يبدين اهتماما متزايدا بالإسلام. وفى جامعة القاهرة يزيد عدد الطالبات الملتزمات بالزى الشرعى، وقد يأتى يوم لا تبقى فيه طالبة مصرية واحدة، إلا وقد ارتدت الزى الشرعى الإسلامى».

وأردفت صحيفة «فورتشن» تقول:

«إن هناك خطرا كبيرا من أن تتمكن الحركة الإسلامية من العودة إلى التأثير على الحياة السياسية فى مصر، وهذا الأمر يخيف الرئيس السادات، الذى عبر عن خوفه بخطابه الشهير فى جامعة الإسكندرية حين قال: إنه لن يسمح للدين بالتدخل فى السياسة.

وهذا الأمر تخشاه - أيضا - إسرائيل؛ لأنها تعتبر أن الإخوان المسلمين هم أشد أعدائها، الذين يهددون وجودها؛ لأنهم يرفضون الاعتراف بها، ويجاهرون بالدعوة إلى إعلان الجهاد المقدس ضدها».

الإسلام قادم، ونحن فى خطر عظيم . . . !

٧ - نشرت صحيفة «القبس» الكويتية فى عددها الصادر فى ١٦/١/١٩٨١، أن الجنرال الكسندر هيغ، وزير خارجية الولايات المتحدة فى عهد الرئيس رونالد ريغان، قد أكد أنه يؤمن إيمانا عميقا بأن المساعدات الأمريكية لنظام الرئيس أنور السادات ستعزز قدرته على الصمود أطول مدة ممكنة فى وجه المخاطر الخارجية، التى تهدده، بالإضافة إلى الخطر الأعظم، الذى يتمثل فى تعاظم نفوذ الحركة الإسلامية فى مصر.

٨ - نشرت صحيفة «الرأى» الأردنية فى عددها الصادر فى ٢٠/١/١٩٨١م، تحليلا نشرته صحيفة «الايكونومست» البريطانية، جاء فيه:

«بعد أن توقف نهر النيل عن الفيضان، ظن الناس أن عهد الفيضانات فى مصر قد انتهى، ولكن لم يكن صحيحا، فإن مصر تشهد اليوم فيضانا عارما، ولكن من نوع جديد، ذلك فيضان الإسلام المكافح بقيادة الإخوان المسلمين.

ليس بمقدور السادات ولا النميرى أن يوقفا المد الإسلامى المتصاعد فى مصر والسودان».

وتختم «الايكونومست» تحليلها بتوجيه نصيحة مبطنة، تؤكد فيها أن الوسائل العادية فى محاربة الحركة الإسلامية لن تجدى نفعا فى القضاء عليهم، وأنه لا بد من اتباع أسلوب أشد بطشا وقمعا، للفتك بالحركة الإسلامية والقضاء عليها.

وتنهى «الايكونومست» تحليلها بهذه العبارات، التى تسخر - من خلالها - من الأساليب، التى كان يتبعها السادات والنميرى فى محاربة الإخوان، فتقول:

«إن كل محولات السادات والنميرى لتطويق نشاط الإخوان المسلمين بالأساليب، التى يتبعانها أحيانا، تبدو أشبه ما تكون بمحاولة طفل صغير يضع

أصبعه فى ثقب صغير فى سد كسد أسوان، ليمنع انهيار الماء المتدفق من آلاف الثقوب الأخرى فى السد ».

٩ – ونشرت صحيفة « السياسة » الكويتية فى عددها الصادر ٣ / ٨ / ١٩٨١م، فى رسالتها الإخبارية من بلجيكا، أن مخابرات حلف الأطلسى أعدت دراسة عن الأوضاع فى الشرق الأوسط، أكدت فيها استنتاجات اللجنة الثلاثية، التى كانت مؤلفة من الرئيس الأمريكى الأسبق نكسون، وكيسنجر، والسياسى الاقتصادى الأمريكى روكفلر، والتى أشارت إلى أن العالم الإسلامى سيشهد فى منتصف الثمانيات صحوة دينية حقيقية، تعمل على هدف مزدوج، وهو الجهاد لإزالة إسرائيل وإزالة النفوذ الأمريكى، والقضاء على المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط.

وأكدت دراسة مخابرات حلف الأطلسى ضرورة الإسراع فى اتخاذ الإجراءات المناسبة الحازمة للقضاء على جميع بوادر اليقظة الإسلامية فى المنطقة، قبل استفحال أمرها.

١٠– نقلت صحيفة « الدستور » الأردنية فى عددها الصادر فى ٩ / ٩ / ١٩٨١م، عن صحيفة « الواشنطن بوست » الأمريكية تحليلا سياسيا، يحتوى كل سطر فيه على تحريش سافر ضد الحركة الإسلامية الجادة فى مصر. فيما يلى أهم فقرات هذا التحليل:

« مع نهاية شهر رمضان تجمع أكثر من مائة ألف (١) من المسلمين المتطرفين لآداء صلاة العيد فى ساحة مقابلة لقصر عابدين، حيث يقيم السادات، ولم يكن الأمر مجرد أداء صلاة، بقدر ما كان مظاهرة عدائية، تتحدى السادات وسياسته،

---

(١) الواقع أن المصلين فى هذه المرة كانوا حوالى نصف مليون، فقد ازدحم ميدان عابدين على سعته، وازدحمت كل الشوارع المؤدية إليه من جميع الجهات، كما شهدت ذلك بنفسى، وكنت خطيب العيد يومئذ، وقد اضطرت السيارة التى تحملنى أن تقف فى مكان بعيد، حيث كانت الشوارع كلها مكتظة بالمصلين، والحمد لله.

وبخاصة أنها جاءت فى وقت يستعد فيه السادات للسفر إلى بريطانيا وأمريكا، مما يعطى انطباعا بأن مركزه فى مصر أصبح ضعيفا أمام المعارضة الدينية.

إن الجماعات الإسلامية المتطرفة تهدف إلى تحويل المجتمع المصرى من مجتمع علمانى إلى جمهورية إسلامية، تتبنى حكومتها تعاليم القرآن. ومن الطبيعى أنه إذا قامت هذه الجمهورية الإسلامية فى مصر، فلن يبقى للسادات مكان فى السلطة.

رغم أن السادات ملأ الجامعات والمعاهد المصرية بالبوليس السرى وبرجال المخابرات، ورغم أنه أصدر تحذيرات شديدة للمتطرفين بعدم التدخل فى الشؤون السياسية، إلا أنه فشل فشلا ذريعا فى إيقاف تقدم الجماعات الإسلامية وانتشارهم فى الجامعات والمعاهد المصرية. وإذا أراد السادات أن يتغلب على هذا الخطر الذى يهدد نظامه، فعليه أن يقوم بعمل أكبر من إصدار التحذيرات. انتهى.

* * *

obeikandl.com